



## الالهة والاصنام

اوليم كانسليس

\*\*\*\*\*

الانسان حيوان ديني . عابد متعبد بالطبع . ان لم يعبد الاله عبد الالهة  
وان لم يعبد الالهة عبد الاصنام . واذا كان منحطاً الى درجة لا يستطيع فيها  
استنباط الاصنام فتراه يعبد الاوهام او ما يخيفه في الطبيعة وما لا يدركه  
من عوامل العناصر .

ان ميل الانسان للعبادة او فطرته الانسانية هي نتيجة تفوقه على سائر  
الحيوانات وما يجده في وقته من الفراغ لاعمال الفكرة . فلو كان حيواناً  
منحطاً دأبه السعي وراء زاده واتقاء الاخطار المحيطة به باستعمال وسائل  
الدفاع الغريزية لما تسنى له الترفع عن المادة الى ماوراءها والاشتغال بالروحيات  
بعد ان تجهزت له الماديات . اما وقد وهبته الطبيعة من الذكاء وقوة  
الاستقراع ما حملة فوق سائر المخلوقات وسخرتها له ليستعملها لحاجاته بقوة  
عقله لا بقوة جسده ؛ فلم يعد مضطراً لتكريس حياته كلها للسعي وراء زاده  
والتنود عن صغاره وحياته من هجبات رفيقه الحيوان بل تسنى له الاختلاء  
بنفسه فاعتاد التفكير واكتشفت التحليل فتطرق الى البحث فيما وراء المادة  
وجعل له من عقله او من مخيلته معبوداً او اكثر . والبرهان على ان الانسان

لولا الفراغ من الوقت الذي هو نتيجة سيادته على سائر الحيوانات لما فكر في الروحيات هو تدرجه فيها . فحين كان ساذجاً غيباً لم تكثر اختراعاته الهجومية والدفاعية لم يكن له فراغ من وقته فلم يكن يعبد شيئاً ، بل ربما سجد للبرق او للرعده مدفوعاً بعامل الرهبة الى ان صار اعرق بما نسيه التمدن فتدرج باستنباط المعبودات من النباتات والحيوان لحاجته اليها ومنفتحهما ثم توصل الى الاصنام ؛ فألى الالهة العديدين؛ والصفات الموهمة ، فألى الاله الحق على ان موضوع هذا البحث العبادة المجازية بمعناها النفسي الواسع الشامل .  
والعامل فيها هو نفس . العامل في العبادة الدينية مع اختلاف في المظاهر والنتائج وربما امتزج النوعان في نفس العابد الواحد .

واني اعني بعبادة الالهة عبادة الافكار وعبادة الاصنام عبادة التقاليد والادعاه .

قد يكون الاله الذي ولدته النفس البشرية واتامت له المياكل وقدمت له القرابين من مال واعمال ودماء اله شر ، وقد يكون اله خير ولكنه على الاطلاق ابن الاعتقاد وحفيد الاخلاص . كونه الفكر وتمخضت به النفس فجاءت قوياً مستبداً مطلق الكلمة لا يقبل في الحكم شريكاً ولا يترك مجالاً للبحث والجدال .

ولدت من النفس فصارت امرها . تكون من الفكر ثم تسيطر عليه وجملة آله بين يديه . اوجدته الانسان ثم صار له الانسان عبداً رقاً وتابعاً مطيعاً اما الاصنام ، وهي تقاليد وادعاه ، فمعبودات. غير في كل مظاهرها

وجميع حالاتها . فان لهم بكُ لها من سينه سوى حو، وطا دون سب الفكر الى الامام وتطرقه الى الارقى والافضل لكنسى بها آفة للمعرفة والحكمة وبلية على الانسانية . وانفرق بين العبادتين كالفرق بين المستنقع القذر الذي لا يتحرك ماؤه الثمن وبين النهر المتدفق بجياحه الصافية من المرتفعات الى الودية فألى البحر العظيم :

شتان بين حالة المتوحش العبي الذي ينحت شبه صورة في صخر او يجبلها من تراب بشكل غليظ ثم يسجد لها ارضاءً لفرزة التعمد فيه رغم كونها جامداً مثل فكره حقيرة مثل نفسه وماء المستنقع - وبين المنكر الذي يخلق الفكر فيقولها ويحلال قوة من قوى الفكر هي الحكمة فيجعل منها مينارفا ، وتطر به ألحان الموسيقى فيجلس يوتارب على كرسيا : ويلذ له الشعر فينتار له ابولو . مثل هذا بعيد عن الوثنية كما يفهمها الناس . وإنما هو يعبد العقل بقواه ، والنفس بمواملها ، والقلب بمواقفه . وسواء سجد ابولو او كاليوبي فانما هو يعبد الشعر ، واذا سجد لمينارفا فهو للحكمة يسجد . ذلك لانه قد نزل الى اعماق نفسه وفتش في زوايا عقله فحلل القوى والعواطف والمواهب وألبس كل منها اسماً استعاره من مخيلته الجوادة

اما المتوحش الذي يسجد لصورة جامدة لا تمثل فكراً فهذا يعبد اصنامه الخامل الذي لا يجبر أن يخالف خرافات ابيه وجده - هذا يعبد اصنامه المستعبد الذليل الذي يرضى ببقاء الحياة ولا يسعى لتبذ النير ، او يعمده الدرهم عن النهوض من خضوض الخمول والبودية - هذا يعبد اصنامه

الفاتر في الموميات ، المتقاعد عن كل عمل مفيد لنمو العقل البشري ،  
القانع من الدنيا بقدر يرشقه ، وفخذ يأكله وآخر يلმسه - هذا يعبد  
اصنامه .

المتقيد بقيود العصر الغابرة وسلاسل التقاليد البالية ، الذي لا يقدم  
على عمل لم عمله سواء من قبله ولا يستعمل كلمة لم تفضيها افواه العصور  
الذي لا يحارب الا لابقاء القديم على قدمه ولا يناضل الا لحفظ حرمة اصحاب  
المخرافات القديمة ولا يمشی الا القهقري - هذا يعبد اصنامه .

لترك الاصنام في او كارها. منتقلين الى هياكل الالهة ولنجعل دخولنا  
اليها بورع واحترام فالنظام جليل . وسواء كانت المتنا لم لم تكن ، سواء  
كانت سالمة او فاسدة في اعتقادنا ، فهي من صلب الاخلاص ورحم العقيدة  
الحقيقية فاحترامها فرض على المفكرين .

هاكم الوطنية مثلاً . الهة سجدت لها الاقوام من قدم وقدمت على  
مذابحها قرابين لو جمعت لتألف منها عالم بل عوالم . برزت في نفوس البشر  
لما بدأ الانسان يخرج من العبودية كما تخرج الفراشة من شرنقتها . لم تك  
معروفة في حالة الانسان القطرية قبل ان صارت له جامعة اي في عصر البيت  
والحي والقبيلة . ولم تك معروفة في الامم التي كثرت عبيدها وقلت  
حكامها لان حقوق الفرد كانت لا تزال مجهولة . بل ابتدأت تتجلى عند  
ظهور حقوق الفرد وحرية في الهيئة الاجتماعية . تجسدت في مجد اثينا  
ونظام سبارتا وعظمة رومية . وتجسدت في ثورة اميركا وعاصفة فرنسا .

كهبتها الوف وعبادها ربوات وضحاياها لا تعصى به . من اجلها كان  
 بريكليس ينظم ويناضل ويرضى بالأضطهاد ، وملكيناد يحارب ، واريستطو  
 وافلاطون يعلمان ، وديموستينس يندد بفيليب غير مبال بنفسه ، والاسكندر  
 يحاول ان يبهب العالم كما يقدم الحبيب اخيامة ازهار الى محبوبته ، وپروتوس  
 يقدم لها قرباناً من دم قلبه مضحياً لها اعز اصدقائه كما ضحى لها جدم  
 پروتوس الاول ولديه من قبله ، وكاتون يتحر في سبيلها ، ورشليو يدمر  
 البلاد ليقم لها قصرآ اسمه الوحدة الوطنية ، وواشنطن ورفاقه يجوبون  
 البلاد ابطلاً عراة لينتقدوها من مخالب الغريب ، وروبييار ودينون ورفاقهما  
 يجعلون لها بحيرة من الندماء وسطها فرنسا ودائرتها اطراف اوربا لتقتسل  
 فيها فتتنظف من اوساخها وتبرأ من علاقاتها فتخرج منها شابة رائعة الجمال  
 يالها من ربة ظلوم : جائمة لا تأكل الا لحوم البشر ، عطشانة لا ترتوي  
 الا من دماهم ، وهم مع ذلك عبدوها ولا يزالون على عبادتهم وعهدهم  
 والالهة كثيرة ، بل كل عاطفة في النفس القوية اله . وكل فكر مخضب  
 كبير في العقل الراجح والقلب الحازم اله .  
 الرسالة لصاحبها اذا آمن ، والدعوة للداعي اذا صدق ، والوعظة للواعظ  
 اذا اخلص ، تجعل لكل منهم من نفسه واعتقاده المأ .  
 والا فما الذي حمل بطرس الناسك على دعوته وجماله يجوب البلاد  
 محرضاً مستصرخاً ؟ لو لم تكن عقيدته صارت « المأ » فيه لما وجد صوتها  
 حدى في النفوس ولما تبعه الالوف الى الخوف .

او ليس الاله ابن الايمان الذي كان في نفوس الشهداء هو الذي جعلهم  
يستصغرون الموت في سبيل ايمانهم .

من من القريشيين او العرب او المعجم كان يصغي ويؤمن من بمحمد  
لولا الاله الذي كان في نفس الرسول ؟ او ما ترى ان ذلك الاله سكن ايضاً  
نفوس الراشدين ورجالهم فصاروا به انصاف آلهة لم ير العالم نظيرهم بالعدل  
والاخلاص والتفاني ؟

اله شهداء العلم ، واله القائلين بالحرية في وجه الظلم والمستعيتين عند  
قولهم ، واله المضطهدين لمذهب والمعدنين لقول والمقتولين لفكر ، واله شهداء  
النصارى وشهداء الاسلام - من كانوا يقتلون صبراً لرفضهم لعن علي او  
الاقرار بخلق القرآن الى الذين يقتلون بينادة الجند وهم يصيحون " فلتحي  
الحرية " - كل هذه الهة لولاها لما بلغ العالم شأوه الحاضر . فاسجدوا لها سواء  
كنتم من عبادها او لم تكونوا لان رفيكم كان منها وبها

هي من اولاد الاحلام لا الالهام . والاحلام امهات الافكار والاعمال .  
هي بنات قوى العقل والعواطف والشعور فليكن لكل منا اله اذا اردنا التقدم  
ولنحطم الاصنام فالاصنام سجون العقول .

